القصِيدةُ (30) بعنوان:
(رحَلَ الخَرابُ)*

شِعْرُ أ.د. جودت أحمد سعادة

* **مناسبة هذه القصيدة:**

لقد خَدَمتُ أستاذاً للتربية لمدة إثنين وأربعين عاماً في ثماني جامعاتٍ عربية، منها خمسُ جامعاتٍ في الأردن، وواحدة في سلطنة عُمان، وأخرى في العاصمة السعودية، والأخيرة في نابلس بفلسطين. وقد تقلدتُ مناصبَ إداريةٍ جامعيةٍ عديدةٍ ولمدة تقارب الثلاثين عاماً، مثل رئاسة عدة أقسام، ومدير مركز للبحثٍ التربويٍ، ومدير مكتبةٍ جامعيةٍ كبرى، وعميد كليات التربية، والعلوم الإنسانية، والبحث العلمي، في معظم هذه الجامعات.

وخلال عملي في المناصب الإدارية الجامعية، تَعاملتُ مع إثني عشر رئيساً جامعياً، كان من بينهم الرئيس الديمقراطي الذي يعتمد أسلوب العمل التشاركي والاحترام المتبادل في تعاملهِ مع الإداريين من الأكاديميين، بل ومع أعضاء الهيئة التدريسية أيضاً، لدرجة أنهم يتمنون بقاءه في منصبه، ويتألمون عندما ينتقل إلى مكانٍ آخر، في حين يتصف بعضهم الآخر بالدكتاتورية والتسلط والرهبة، واعتماد أسلوب التجسس، وقمع الآراء، وفرض الرأي بقوة الوظيفة والصلاحيات الممنوحة له بحكم الوظيفة، بحيث يتمنى الكثيرون انتهاء عهده، ويفرحون عندما تقرر الدولة المعنية أو أصحاب القرار في الجامعة، إنهاء فترة رئاستهِ بشكلٍ طبيعي أو استثنائي.

وهذه القصيدة ليست موجهة لشخصٍ بعينه من رؤساء الجامعات، وإنما لنمط إدارةٍ أوتعاملٍ خاص برئاساتٍ جامعية في العديد من الجامعاتٍ العربية والإقليمية والدوليةٍ، بحيث تصبح انتهاء فترة رئاسة هذا الرئيس، تشبه رحيل الخَراب بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وتصف أيضاً تلك الممارسات التسلطية التي لا تتفق مع الأعراف الأكاديمية والإدارية الجامعية. وتقول أبيات القصيدة:

رَحَلَ الخَرابُ وفي الرَحِيلِ مَسَارُ والجَامِعَاتُ شُعَاعُهَا أنوَارُ

رَحَلَ الفسَادُ مُدَمراً للعِلمِ في أنواعِهِ والنائباتُ كِبارُ

تـدمِيرُ أعـرَافٍ وطَـمسُ مَعَالِمٍ والبَحثُ والتطويرُ فيهِ حِصارُ
تعيينُ أشخَـاصٍ بدونِ قـوَاعِدٍ والكُـلُ والأقسَامُ لا يَختَاروا
بَل لَجنةَ الـتَعيينِ جُـمِـدَ دَورُهـا والعُضـوُ فيها مُهمَلٌ ومُثَارُ
خَدعَ الجَـمـيعَ بكـذبـةٍ عَلنـيةٍ ضِدَ البُحُوثِ وفي الخِداعِ قَرَارُ

ضَاعَت بُحوثُ المُخلِصينَ بِلَحظةٍ والنَاسُ بالصَرحِ الكَبير تَحَارُ
بلغَ النِفاقُ لدى الـقَـلـيـلِ مَـجَالهُ إن النِفاقَ تَحَايُلٌ وسِـتَارُ
دَربُ النِفاقِ مَجَالَ ضَعفٍ واسِـعٍ في العِلمِ والتَنظيمِ ضَاعَ مَسَارُ
تَـشجيعُ أفـرادٍ لِـنَـقـلِ دَسَائسٍ والعِلمُ فيها ضَـائـعٌ مُنهَـارُ
حَكَمَ الجَميعَ بنظـرةٍ شَـخصِـيةٍ فيها التَشـاورُ لَـوعَةَ ومَرَارُ
تَركَ القريبَ يَصُولُ في جَولاتهِ كانَ القَريبُ هوالرئيسُ البّارُ
يَتزلفُ المُتَزلِفونَ لِقُـربِهِ طَمْسُ الحَقَائِقِ مِهنَةَ تُختَـارُ
حَربٌ على الخِبرَاتِ كَانَ شِعارُهُ تَعويضُ نَقصٍ بَـارزٍ وسِـتَارُ
مُتَكبرٌ في القَـولِ يَفرضُ رأيَـهُ في العِلمِ حَتى غَابتِ الأقمَـارُ
في التَرقِياتِ خِداعُ كُلِ بَصيرةٍ ضَاعَ النِظَامُ بِهَا كَمَاالمِعيّارُ
طرَحَ التَميُزَ وهـوَ مِنـهُ بَرَاءَةٌ والزَيفُ مِنـهُ كَواكِبٌ وَمَدَارُ
ضَعْفُ الإدارةِ عندَهُ مُستَحكِمٌ فيهِ التَعامُلُ طَعنـةَ وشِجَارُ

يَحيىٰ قَـرُونَـاً لِلوَرَاءِ إدارَةً وتَـقَبلُ الرأيُ السَلِيمِ مَضّارُ
في العِلمِ لا يَعـنـيهِ أيُ تَقدمٍ حيثُ التَسلـُطُ لَيلُهُ ونَـهـارُ
كانَ القَـرارُ بِخَلعِهِ أنشـودةً غَنَى بِهَا العُـلَمَاءُ والأخيَارُ

سَلِمَتْ يَداكَ نَصَرتَ كُلَ مُعَذَبٍ أنـهَيتَ وضعَاً للعُلوم دَمَارُ
فلقد نَصَرتَ الحَقَ في أرجَائهِ يومَ انتهى الطاغوتُ والغَدارُ
واليومَ يرحَلُ غيرَمأسوفٍ على عَهدٍ لهُ، والقَادِمونَ كِبَارُ
رَحلَ الخَرَابُ وفيهِ كُل مَصَائبٍ
واليَومَ ننشِدُ للعُلا إعمَارُ

أ.د. جودت أحمد سعادة2016